مظاهرالوسطية في الآيات القرآنية والسنة النبوية
وأثرها في تحقيق تكامل وحدة الأمة

ورقة علمية قدمت في المؤتمر العالمي بعنوان:

السنة مصدر المعرفة وأساس الوحدة

والذي عقدته:

كلية الدراسات القرآنية والحديثية
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية بماليزيا

28-29 يوليو 2010

بقلم
الدكتور خيرالدين خوجة (الكوسوفي)
كلية أصول الدين – جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية
سلطنة بروناي

ملخص البحث

حول التمسك والالتزام بمبدأ الوسطية ومظاهرها المتعددة في الكتاب والسنة وأثرها البالغ في تحقيق تكامل وحدة الأمة الفكرية والعقدية والاجتماعية والثقافية؛ قد تضافرت نصوص الكتاب والسنة بشتى العبارات ومختلف الأساليب، وأجمعت الأمة سلفاً وخلفاً على وجوب الالتزام والأخذ بفريضة الوسطية في أمور الدين كلها. وإن قوماً ضلوا و شذوا عن جادة الوسطية، والالتزام بهذه الفريضة الربانية وهذا الهدي النبوي المعصوم، كان عاقبة أمرهم خُسْراً و هم يحسبون أنهم يحسنون صُنعاً.

إن إسلامنا دين سلام و أمان، ودين حياة وبناء وحضارة، جاء لرعاية مصالح العباد في المعاش و المعاد، وليس دين موت وقتل وتخريب وترهيب وترويع. وهذا هو السر في محاربة الإسلام لظاهرة التشدد والتنطع والتزمت بمختلف أساليبها وأشكالها وألوانها، المدمرة والمهلكة للحرث والنسل، لأنها لم تأت بخير قط في تاريخ البشرية، لا للأولين وللآخرين. و بناء على هذه الحقيقة التاريخية، دعانا إسلامنا إلى الاحتكام إلى نور الوسطية وميزان الاعتدال وإلى العودة إلى " المرجعية المركزية " The Criteria of the Center" - القرآن و السنة – لنستقي منهما علاجنا ونستبين سبيلنا إلى مرضاة الله في الدنيا والآخرة، لتحقيق وحدة الأمة الفكرية والاجتماعية والدينية.

لقد تقرر لدى أهل الحل والعقد من علماء الأمة الإسلامية سلفاً وخلفًا أن مقاصد تشريعات ديننا الحنيف انصبت على حفظ كبرى القضايا الإنسانية والتي تستقيم بها الحياة و عليها تقوم مصالح البشر قاطبة. وهذه المصالح التي جاء بها ديننا الحنيف لحفظها هي مصالح مقدسة و لا يجوز التعرض لها بسوء، و هي: حفظ الدين و النفس و العقل و العرض والمال، و هذا الذي سمي لدى المحققين من العلماء بـ: الكليات الخمس، الضرورية.

هذه الورقة في هذا المؤتمر العالمي المبارك ستحاول بإذن الله أن تجيب على هذه الأسئلة:

ما مظاهر الوسطية والاعتدال في ضوء القرآن والسنة النبوية ؟

ما الأضرار الناجمة على الفرد والمجتمع من جراء النبذ والرفض لمبدأ الوسطية والاعتدال ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي هدانا لهدي الإسلام، و الصلاة والسلام على خير الأنام سيدنا و نبينا وقدوتنا وقرة أعيننا محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة و أزكى السلام، وعلى آله الطيبين الطاهرين أولي النُّهى و الإحسان، ومن اهتدى بهديه و دعا بدعوته فكان صلى الله عليه وسلم خير داع للوسطية والسلام.. أما بعد:

بادئ ذي بدء أود أن أشير إلى حقيقة دينية و إلى بعض القواعد الشرعية الأصولية المهمة، و هي: " **لا ضرر و لا ضرار – الضرر يزال بقدر الإمكان- الضرر لا يزال بضرر مثله أو أكبر منه – يحتمل الضرر الأدنى لدفع الضرر الأعلى ..**" [1] و بناء عليها فإن كل ضرر حسي أو معنوي كظاهرة الإرهاب و التطرف في عصرنا الحاضر، و ترويع الأبرياء و الآمنين من المسلمين أو غيرهم، كل ذلك، في نظر الإسلام هي أعمال و أفكار ممقوتة ومنبوذة، و محرمة جملة و تفصيلاً بكافة أشكالها و ألوانها. و بناء عليه فقد دعانا إسلامنا إلى التمسك و الالتزام بالمنهج القرآني في كيفية مواجهة هذا التحدي الفكري و العقدي المنحرف الذي يعاني منه الأخضر و اليابس، و الصالح و الطالح والجماد و الحيوان والإنسان، و الله المستعان وعليه التكلان.

بالرجوع إلى الهدي القرآني، فإننا بإذن الله لا محالة، سنتوصل إلى جذور هذه المشكلة الاجتماعية والدينية، لكي نتعرف على سنن الله عز وجل في الكون في كيفية التغيير، و حتى يكون الهدي القرآني مخرجاً لنا من هذه الأزمة الفكرية و الاجتماعية، و علاجاً لهذا الداء الخطير و الشر الوبيل الذي ابتلينا به في هذا العصر، ".. ذلك لأنه من المعلوم أن هذا الكون بما فيه و من فيه خلقه الله تعالى بنظام و سببية و غائية. كل ظاهرة فيه

---

[1] **مبادرة وقف العنف – رؤية واقعية و نظرة شرعية**، من تأليف: أسامة إبراهيم حافظ، و: عاصم عبد الماجد محمد، و أقره و راجعه: كرم محمد زهدي-علي محمد علي الشريف – ناجح إبراهيم عبد الله – محمد عصام الدين دربالة – فؤاد محمود الدواليبي – حمدي عبد الرحمن عبد العظيم، مكتبة العبيكان، ط1- 2004، الرياض –المملكة العربية السعودية، ص: 29-31

تخضع إلى مجموعة من السنن الإلهية التي تتحكم في وجوده و صيرورته، لا تفلت منها ظاهرة، و لا تخرج عليها ذرة. كل شيء في الوجود يمشي موزوناً مضبوطاً مسبباً. و الظواهر الاجتماعية هي جزء من الظواهر الكونية تخضع في ظهورها وتغيرها و تلاشيها إلى أسباب و سنن اجتماعية معروفة تدخل ضمن السنن الإلهية الكونية و تتسلسل منها. و ظاهرة التغير في حياة المسلمين كانت ظاهرة ضخمة و صيرورة تاريخية كبيرة، لا بد أن أسباباً مهمة و متنوعة تقف وراءها، و بقدر تعمقنا في دراستها و تحديد أوجه تأثيرها نضع أيدينا على جذور الأزمة الثقافية و الحضارية في العصر الحديث.." [2]

حول هذه الحقيقة الشرعية قد تضافرت نصوص الكتاب و السنة بشتى العبارات ومختلف الأساليب، و أجمعت الأمة سلفاً و خلفاً على وجوب الالتزام و الأخذ بفريضة الوسطية في أمور الدين كلها، و فبات هذا الالتزام قضية مسلّمة بها لدى المحققين من أهل العلم، إلا من لا يعتد بخلافه. و إن قوماً ضلوا و شذوا عن جادة الوسطية، و الالتزام بهذه الفريضة الربانية و هذا الهدي النبوي المعصوم، فكان عاقبة أمرهم خُسْراً و هم يحسبون أنهم يحسنون صُنعاً.

ثانيًا: قاعدة أخرى، و هي أن إسلامنا دين سلام و أمان، ودين حياة و بناء و حضارة ، جاء لرعاية مصالح العباد في المعاش و المعاد، و ليس دين موت و قتل و تخريب و ترهيب و ترويع، كما قد يَتَوَهّم ذلك بعض من لا نصيب له من العلم أو الفقه الشرعي الكافي. و هذا هو السر في محاربة الإسلام لتلك الظاهرة المدمرة و المهلكة للحرث و النسل، ظاهرة الغلوّ أو التنطع الفكري أو المذهبي أو العقدي، لأنها لم تأت بخير قط في تاريخ البشرية، لا للأولين و للآخرين. و بناء على هذه الحقيقة التاريخية، دعانا إسلامنا إلى نور الوسطية و ميزان الاعتدال،

[2] عبد الحميد، محسن: **أزمة المثقفين تجاه الإسلام في العصر الحديث**، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1984، ص: 8

و إلى الاحتكام إلى: " المرجعية المركزية " أو معيار أو مقياس المركز " The Criteria of the Center [3]" - القرآن و السنة – لنستقي منهما علاجنا و نستبين سبيلنا إلى مرضاة الله في الدنيا و الآخرة.

ثالثاً: و فوق ذلك كله، فقد تقرر لدى أهل الحل و العقد من علماء الأمة الإسلامية سلفاً و خلفًا أن مقاصد تشريعات ديننا الحنيف انصبت على حفظ كبرى القضايا الإنسانية و التي تستقيم بها الحياة و عليها تقوم مصالح البشر قاطبة. و هذه المصالح التي جاء بها ديننا الحنيف لحفظها هي مصالح مقدسة و لا يجوز التعرض لها بسوء، و هي: حفظ الدين و النفس و العقل و العرض و المال، و هذا الذي سمي لدى المحققين من العلماء بـ: الكليات الخمس، الضرورية.

فظاهرة الإرهاب و القتل و ترويع الآمنين و تدمير المصالح البشرية و انتهاك حرمات الآخرين تتعارض و تتناقض مع روح هذه التعاليم الربانية و المقاصد الإنسانية السامية.

هذه الورقة في هذه الندوة العلمية المباركة و في طيبة الطيبة ستحاول بإذن الله أن تجيب على هذه الأسئلة:

- ***ما موقف الوسطية و الاعتدال في ضوء القرآن و السنة النبوية ؟***
- ***ما الأضرار الناجمة على الفرد و المجتمع من جراء النبذ لمبدأ الوسطية و الاعتدال ؟***

فنسأل الله تبارك و تعالى التوفيق و الإخلاص إنه تعالى نعم المولى و نعم النصير.

---

[3] فتاح، عرفان عبد الحميد: **محاضرات عن قضايا أساسية في أديان العالم - Lectures on Major Themes in World Religions** ، من مطبوعات الجامعة الإسلامية العالمية بكوالا لامبور- ماليزيا، 2000.

الوسطية و التوازن و الاعتدال

فالعلاج الذي سنقترحه على شبابنا و مؤسساتنا العلمية لتبنيه و تداوله هو: مبدأ و فريضة الوسطية و الاعتدال في عقيدتنا و عباداتنا و معاملاتنا و آرائنا و شؤوننا كافة، و الابتعاد عن الغلو و التطرف و التشدد بكافة مظاهره و أشكاله.

و عن فضل هذا العلاج و أهميته في حياتنا و عقيدتنا، و أن ديننا الإسلامي جاء بكافة تشريعاته و أحكامه وسطاً بين غلو الغالين و تقصير المقصرين، لنرى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه في (**الوصية الكبرى**)، و هو يلخص لنا هذه الحقيقة الكبرى، و نحن نذكر ذلك بتصرف شديد لأهميته: قال رحمه الله:

" .. وهذه الفرقة الناجية أهل السنة، هم وسطٌ في النّحل، كما أن ملة الإسلام وسطٌ في الملل، فالمسلمون وسطٌ في أنبياء اللهِ ورسله وعبادهِ الصالحين، لم يَغْلوا فيهم كما غلت النصارى، فاتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون اللهِ والمسيحَ بن مريم، وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحدًا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون. ولا جَفَوا عنهم كما جفَتِ اليهودُ، فكانوا يقتلون الأنبياء بغير حقٍّ ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس، وكلما جآءهم رسولٌ بما لا تهوى أنفسهم كذّبوا فريقاً وقتلوا فريقًا. ومن ذلك أن المؤمنين توسّطوا في المسيح، فلم يقولوا هو الله، ولا ابنُ الله، ولا ثالثُ ثلاثةٍ، كما تقوله النصارى، ولا كفروا به.. بل قالوا هذا عبدُ اللهِ ورسولُهُ وكلمتُهُ ألقاها إلى مريم، العذراءُ البتولُ، وروحٌ منه..

وكذلك المؤمنون وسطٌ في شرائع دين الله فلم يحرموا على الله أن يَنْسخَ ما شآء ويمحو ما شآء ويثبت كما قالته اليهود..ولا جوزوا لأكابِرَ علمائِهم وعُبّادِهم أن يغيروا دين الله فيأمروا بما شاؤا وينهوا عما شاؤوا كما يفعله النصارى. وكذلك في صفات الله تعالى، فإن اليهودَ وصفوا اللَّه تعالى بصفات المخلوقِ الناقصةِ، فقالوا هو فقيرٌ ونحن أغنياءُ، وقالوا يدُ اللهِ مغلولةٌ، وقالوا إنه تَعِبَ من الخلق فاستراح يوم السبت إلى غير ذلك.. والنصارى وصفوا المخلوق بصفاتِ الخالق المختصة به، فقالوا إنه يخلقُ ويرزقُ ويغفرُ ويرحمُ ويتوبُ على الخلق ويُثيبُ ويعاقبُ.. والمؤمنون آمنوا بالله سبحانه وتعالى، ليس له سميٌّ، ولا نِدُّ، ولم يكن له كفوًا أحدٌ، وليس كَمِثْلِهِ شيءٌ، فإنه رب العالمين وخالقُ كلِّ

شيءٍ، وكلُّ ما سواه عِبادٌ له، فقراءُ إليه .. وهكذا أهل السنة والجماعة في الفرق، فهم في باب أسماء الله وآياته وصفاته وسطٌ بين أهل التعطيل الذين يلحدون في أسماء الله وآياتهِ ويُعطِّلون حقائقَ ما نَعَتَ اللهُ به نفَسهُ، حتى يشبهوه بالعدم والموات... وبين أهل التمثيل الذين يضربون له الأمثالَ، ويشبهونه بالمخلوقات... فيؤمن أهل السنة والجماعة بما وصفَ اللهُ به نفسَهُ وما وصفَهُ به رسولُهُ، من غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ ومن غير تكييفٍ وتمثيلٍ... وهم في باب خلقه وأمره وسطٌ بين المكذبين بقدرة الله - و المؤمنين - الذين يؤمنون بقدرته الكاملة ومشيئتِهِ الشاملةِ وخلقِهِ لكل شيءٍ، وبين المفسدين لدين الله الذين يجعلون العبدَ ليس له مشيئةٌ ولا قدرةٌ ولا عملٌ، فيعطلون الأمرَ والنهيَ والثوابَ والعقابَ، فيصيرون بمنزلة المشركين الذين قالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء ... وهم في باب الأسماء والأحكام والوعد الوعيد وسطٌ بين الوعيدية، الذين يجعلون أهل الكبائر من المسلمين مخلدين في النار، ويخرجونهم من الإيمان بالكلية، ويكذبون بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم ...وبين المرجئة الذين يقولون إيمان الفُسّاقِ مثلُ إيمان الأنبياء، والأعمالُ الصالحةُ ليست من الدين والإيمان، ويكذبون بالوعيد والعقاب بالكلية..فيؤمن أهل السنة والجماعة بأن فساق المسلمين معهم بعضُ الإيمان وأصلُهُ، وليس معهم جميعُ الإيمان الواجب الذي يستوجبون به الجنة، وأنهم لا يخلدون في النار، بل يخرج منها من كان في قلبه مثال حبّةٍ من إيمان أو مثال خَرْدَلةٍ من إيمان...وهم أيضا في أصحاب رسول الله **صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم وسطٌ بين الغالية** الذين يغالون في علي رضي الله عنه، فيفضلونه على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وبين الجافية الذين يعتقدون كفرَهُ وكفْرَ عثمانَ رضي الله عنهما ويستحلون دماءهما ودماءَ من تولاهما، ويستحبون سبَّ عليٍّ وعثمانَ...وكذلك في سائر أبواب السنة هم وسطٌ، لأنهم متمسكون بكتابِ اللهِ وسنةِ رسولِهِ وما اتفق عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان.." [4].

[4] أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، **مجموع الفتاوى**، ، **باب الوصية الكبرى**، ج3، ص: 363، وانظر:**حرمة الغلو في الدين و تكفير المسلمين**، 73-83

هذا الذي سنركز عليه في هذه الورقة بإذن الله، فهيا بنا إلى رحاب كتاب ربنا، و الذي فيه شفاء و رحمة للمؤمنين، و إلى رحاب السنة المطهرة ورياض الصالحين لنقتبس من نورهما، لعلهما يكونان نبراسًا لنا، يضيئان طريقنا في هذا الزمان الذي ادلهمت فيه الظلمات و تعددت فيه الاجتهادات و التوجهات و ضل فيه الحائرون. نسأل الله تبارك و تعالى أن يخرجنا من ظلمات الوهم و أن يكرمنا بنور الفهم و أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أولئك الذين هداهم الله و أولئك هم أولو الألباب.

إن لهذه الخاصية الإسلامية لها أثرها الكبير في عصمة الأمة الإسلامية و عصمة شبابها المسلم من الغلو و الإفراط أو التفريط، و عن التأرجح أو الحيرة بين الأفكار و المذاهب الهدامة و المنحرفة في هذا العصر [5] . بينما نرى المذاهب المادية والوضعية قد اعتنت بالجانب المادي و أهملت الجانب الروحي، أو أنها اعتنت بمصالح الفرد و أهملت مصالح الجماعة، أو ربما أعلت من شأن الروح على حساب القيم الأخرى.

إن الموازنة والوسطية والاعتدال الفكري أو المذهبي، و الموازنة والوسطية بين الحقوق و الواجبات، وبين مطالب الروح و الجسد أمر غير يسير، لأن الإنسان بطبعه ميال إلى جانب على حساب الجانب الآخر، و هذا يسبب خللاً و فسادًا على الفرد و المجتمع و الناس أجمعين، فالعبد المسلم يجب عليه أن لا يميل كلَّ الميل فيذر الجانب الآخر معلقًا.

جاء ديننا الحنيف حافظاً على هذا التوازن في كافة الشؤون التعبدية و المعيشية. فقد أمر الإسلام بعبادة ربنا، و في الوقت ذاته أمرنا أن نصرف شيئًا من وقتنا و جهدنا و اهتمامنا لأنفسنا و لأولادنا و مجتمعنا، وأمرنا تعالى أن نصرف همنا للدار الآخرة، ولكنه سبحانه أمرنا أيضًا أن لا ننسى نصيبنا و حظنا من الدنيا، و أنه تعالى أمرنا أن نجتنب

[5] حول ضرر الأفكار و الاتجاهات المنحرفة لدى الشباب..أنظر: الغفيلي، فهد بن عبد العزيز: **حوار مع الإرهاب**، ط1، 1425، الرياض، ص: 115-123

الخبائث من المأكولات و المشروبات و نهانا عن تحريم الطيبات التي أباحه الله عز وجل له. كما أنه سبحانه نهى عباده على لسان رسوله عن الانقطاع للتعبد و ترك الزواج و الجهاد..كل ذلك على نحو منهجي تربوي فريد[6] .

لنتأمل هذه الآيات القرآنية كيف أن ربنا سبحانه و تعالى لام و عتب و نهى أهل الكتاب من اليهود و النصارى عن هذه الظاهرة العقدية المتطرفة قائلاً لهم: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً)، النساء:171. " نقرأ أسفار التوراة الخمسة الحالية [7]، فلا نكاد نجد للروحانية أثرًا، و لا نكاد نرى للآخرة مكانًا، حتى الوعد و الوعيد في هذه التوراة للمطيعين و العصاة، إنما يتعلقان بأمور دنيوية، و تكاد تستأثر بها النزعة المادية الخالصة ... فإذا انتقلنا إلى الإنجيل وجدنا دعوة قوية إلى إلغاء قيمة هذه الدنيا، واعتبار هذه الأرض بمثابة منفى للإنسان، وطلب النجاة و السعادة هناك في العالم لآخر.. و هكذا لا تحس في الإنجيل أن لك في الدنيا نصيبًا، و أن لك في طيبات الحياة حظًا، و لا تشعر أن لبدنك عليك حقاً، و أن لك في عمارة الأرض دورًا..يقول الإنجيل و قال المسيح لشاب آمن به و دخل في دينه: [إذا أردت أن تكون كاملاً فاذهب فَبِعْ ما تملك و أعطه للفقراء، ثم تعال واتبعني. و قال لتلاميذه:[وأنتم فلا تبحثوا عما تأكلون و ما تشربون و لا تهتموا لذلك؛ لأن هذه الأشياء إنما يبحث غير المؤمنين]"[8].

إن هؤلاء المقدمين على مثل هذه العمليات الهجومية و الإرهابية على المسلمين أو على الأجانب من غير المسلمين، سنلفهم أنهم أن هؤلاء يعانون من العقد الفكرية و الأمراض

---

[6] أنظر أيضاً رسالة الأستاذ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، بهذا العنوان: **نحو منهج تربوي فريد**، دار الفكر، ط2، دمشق- سوريا، 1988، فإن فيها فوائد جمة.

[7] عن اليهودية والحركات اليهودية الحديثة كما يراها أهلها..راجع: فتاح، عرفان عبد الحميد: **اليهودية – عرض تاريخي – والحركات الحديثة في اليهودية**، دار عمار، ط1، 2002، عمان – الاردن، ص:135-168

[8] المرجع السابق، ص 182، وانظر أيضًا:**Bazat e Bibles Per Myslimanet - أصول الإنجيل –الكتاب الالمقدس – للمسلمين**، باللغة الألبانية، Surrey CR2 0ZA-ENGLAND-2004

النفسية [9] و الأزمات العقلية و المشاكل الثقافية، بسبب ابتعادهم عن جادة الوسطية، و تنكرهم: " **لِ: سواء السبيل**، التي عبر القرآن الكريم عنها في كثير من الآيات على لسان عديد من الأنبياء و المرسلين، و هو سبيل: **الوسطية و الاعتدال و التوازن و السداد.**

فنجد في القرآن الكريم إشارة و دلالة واضحة إلى هذا المعنى الذي نروم إليه، أي قضية الوسطية و الاعتدال و التوازن، **فما المراد منها ؟ و ما أبعاد دلالات تلك العبارة** ؟ لنستعرض بعض الآيات القرآنية و من ثم أقوال بعض المفسرين لكي نرى عظمة القرآن الكريم و إعجازه في هذه المسألة.

قال تعالى: (أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ **فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ)**، البقرة:108،

و يقول أيضًا: (وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ **مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ**)، المائدة:12،

و قال تعالى: (قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ **شَرٌّ مَكَاناً وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ)**، المائدة:60،

و قال تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَ**أَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ**)، المائدة:77

و قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ **مِنْكُمْ** فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ)، الممتحنة:1

[9] يالجن، مقداد: **طريق السعادة**، من مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط1، 1414 هـ

- يقول الإمام ابن كثير في تفسير قوله تعالى : (فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ)، أي الطريق الأقوم..[10].

- و قال الإمام ابن كثير في تفسير قوله تعالى: (و ضَلُّوا عن سَوَاءَ السَّبِيلِ)، أي خرجوا عن طريق الاستقامة و الاعتدال إلى طريق الغواية و الضلال..[11].

- و يقول صاحب تفسير الجلالين في تفسير قوله تعالى: (فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ)، أي أخطأ الطريق الحق. و السواء في الأصل: الوسط..[12].

- و يقول الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى: (فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ)، أي أخطأ قصد طريق محمد **صلى الله عليه وسلم..**[13].

- و يقول الإمام الطبري في تفسير قوله تعالى: (فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ)، أي فقد أخطأ قصد الطريق الواضح و زل عن منهج السبيل القاصد..و قصد الطريق محجة الحق..[14].

الشاهد مما تقدم هو دلالة الآيات القرآنية إلى هذا العلاج المهم و المنسي..علاج الوسطية و الاعتدال لظاهرة الغلو و التطرف الديني. فهلا استفدنا من قرآننا و هلا رجعنا إلى معينه لنستقي منه دواءنا.

و لقد دعانا كتاب ربنا إلى الالتزام و التمسك بمبدأ و فريضة الوسطية، و أنه سبحانه جعلنا من خير الأمم التي أخرجت للناس، تأمر بالمعروف و تنهى عن المنكر و تؤمن بالله و بذلك تكون شاهدة على بقية الأمم في الدنيا و الآخرة. إنها الأمة الوسط، أمة معتدلة،

---

[10] **أبو الفداء**، إسماعيل بن عمر بن كثير المشقي، **تفسير القرآن العظيم**، دار الفكر- بيروت، 1401ج3، ص 384:

[11] **المصدر السابق**، ج2، ص: 213

[12] **تفسير الجلالين** – محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر المحلي و عبد الرحمن السيوطي، دار الحديث-القاهرة ط1،، ج1، ص: 23 & ج1، ص:510

[13] تفسير القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي، دار الشعب-القاهرة، ط2، 1372، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، ج6، ص: 114 & ج6، ص: 252

[14] تفسير الطبري: **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري، دار الفكر-بيروت، 1405، ج6، ص: 316 & ج 14، ص: 84

أمة متوازنة..خيرية و أفضلية و قوة هذه الأمة تكمن في وسطيتها وبساطتها و توازنها و اعتدالها في كل شيء من أمور دينها. إنها أمة العدل و الخير و الصلاح، و قد جاءت شريعة الإسلام سمحة طيبة و جاءت بالعدل و الميزان [15]، قال تعالى: يقول ربنا تبارك و تعالى في محكم تنزيله:(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً)، البقرة:143.

إن قرآننا دعانا إلى الوسطية و الاعتدال حتى في الإنفاق للآخرين، و لم يتركنا أحرارًا نتصرف في أموالنا كيف نشاء. كل ذلك للحفاظ على التوازن و الاعتدال، و التجنب و الابتعاد عن التطرف في الإنفاق. لنتأمل هذا البيان الإلهي المعجز. يقول ربنا تبارك وتعالى: (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً)، الفرقان:67، و يقول سبحانه:(وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً)، الإسراء:29،

و في هذا الصدد فقد رأيت كلاماً جميلاً و تعليقاً رائعاً للأستاذ الشهيد سيد قطب في تفسيره لآية سورة الإسراء. يقول رحمه الله:

".. والتوازن هو القاعدة الكبرى في النهج الإسلامي، والغلو كالتفريط يخل بالتوازن . والتعبير هنا يجري على طريقة التصوير؛ فيرسم البخل يدا مغلولة إلى العنق ، ويرسم الإسراف يداً مبسوطة كل البسط لا تمسك شيئاً، ويرسم نهاية البخل ونهاية الإسراف قَعْدَةً كَقَعْدَةِ الملوم المحسور . والحسير في اللغة: الدابة تعجز عن السير فتقف ضعفاً وعجزًا. فكذلك البخيل يحسره بُخْلُه فيقف. وكذلك المسرف ينتهي به سرفُهُ إلى وقْفَةِ الحسير. ملومًا في الحالتين على البخل وعلى السرف، **وخير الأمور الوسط**. ثم يعقب على الأمر بالتوسط بأن الرازق هو الله. هو الذي يبسط في الرزق ويوسع، وهو الذي يقدر في الرزق ويضيق. ومعطي الرزق هو الآمر بالتوسط في الإنفاق:(إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً)،الإسراء:30. يبسط الرزق لمن يشاء عن خبرة وبصر، ويقدر الرزق لمن يشاء عن خبرة وبصر. **ويأمر بالقصد والاعتدال**،

[15] **حرمة الغلو في الدين و تكفير المسلمين**، ص:76

وينهى عن البخل والسرف، وهو الخبير البصير بالأقوم في جميع الأحوال؛ وقد أنزل هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم في جميع الأحوال." [16].

إن التوسط و الاعتدال كان من منهج الأنبياء و المرسلين حتى في عباداتهم و علاقاتهم مع الله عز و جل. فكانوا يعيشون بين الخوف و الرجاء. الخوف من عذاب الله و غضبه، و الرجاء فيما عند الله من رضوانه و رحمته. فلا أحد يأمن مكر الله و عقابه و لو كان نبياً رسولاً..لنقرأ هذا البيان الإلهي لكي تنجلي هذه الحقيقة أمام أعيننا. يقول عز وجل: (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ)، الأنبياء:90 .

و لو استقرأنا النصوص النبوية عن منهج و سيرة نبينا و رسولنا محمد **صلى الله عليه وسلم** لرأينا أنه عليه الصلاة كان خير داع لهذا المنهج الرباني و لهذه الفريضة المنسية و المهجورة، والتي بسبب نسياننا لها جنينا على أنفسنا و على أمتنا الويلات. فقد كان **صلى الله عليه وسلم** يصوم و يفطر، و يتزوج النساء، و يعبد الله و يرقد، و يزور جيرانه المرضى من اليهود و النصارى، و كان يتعامل مع المنافقين من المسلمين..فلم يكن **صلى الله عليه وسلم** منقطعاً عن مجتمعه و بني جنسه من اليهود و النصارى و المنافقين..فعلى المسلم أيضاً: ".. أن يكون وسطاً بين الذين يهملون النصوص الشرعية الثابتة بدعوى مراعاة مقاصد الشريعة و بين أولئك الذين يغفلون مقاصد الشريعة الكلية بدعوى مراعاة النصوص. وأن يكون وسطاً بين المستغرقين في الحياة السياسية على حساب التربية الإسلامية الصحيحة، و بين المهملين للسياسة بالكلية بدعوى التفرغ للتربية الإسلامية حتى لا يشعروا بما حولهم و لا يعرفوا ما يحاك للإسلام في كل مكان، ويغفلون عن رسالة الإسلام العالمية...و أن يكون وسطاً بين الذين يأخذون الحضارة الغربية بخيرها و شرها و يستوردون أفكارها و أخلاقها و سلوكياتها، و بين الذين يرفضون الحضارة الغربية بالكلية..و أن يكون وسطاً بين دعاة الثبات و لو في الوسائل و الآلات مثل الكمبيوتر و الأنترنت، و بين دعاة التطور و التغيير .." [17].

---

[16] قطب، سيد: **في ظلال القرآن**، ج4، ص : 2223

[17] **حرمة الغلو في الدين و تكفير المسلمين**، 78-79

الوسطية و التوازن و الاعتدال: هو العلاج المقترح لمعالجة الإرهاب

فالعلاج الذي سنقترحه على شبابنا و مؤسساتنا العلمية لتبنيه و تداوله هو: مبدأ و فريضة الوسطية و الاعتدال في عقيدتنا و عباداتنا و معاملاتنا و آرائنا و شؤوننا كافة، و الابتعاد عن الغلو و التطرف و التشدد بكافة مظاهره و أشكاله.

و عن فضل هذا العلاج و أهميته في حياتنا و عقيدتنا، و أن ديننا الإسلامي جاء بكافة تشريعاته و أحكامه وسطاً بين غلو الغالين و تقصير المقصرين، لنرى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه في (**الوصية الكبرى**)، و هو يلخص لنا هذه الحقيقة الكبرى، و نحن نذكر ذلك بتصرف شديد لأهميته: قال رحمه الله:

" .. وهذه الفرقة الناجية أهل السنة، هم وسطٌ في النِّحل، كما أن ملة الإسلام وسطٌ في الملل، فالمسلمون وسطٌ في أنبياء الله ورسله وعبادهِ الصالحين، لم يَغْلوا فيهم كما غلت النصارى، فاتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون اللهِ والمسيحَ بن مريم، وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحدًا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون. ولا جَفَوا عنهم كما جفَتِ اليهودُ، فكانوا يقتلون الأنبياء بغير حقٍّ ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس، وكلما جآءهم رسولٌ بما لا تهوى أنفسهم كذّبوا فريقاً وقتلوا فريقًا. ومن ذلك أن المؤمنين توسّطوا في المسيح، فلم يقولوا هو الله، ولا ابنُ الله، ولا ثالثُ ثلاثةٍ، كما تقوله النصارى، ولا كفروا به.. بل قالوا هذا عبدُ اللهِ ورسولُهُ وكلمتُهُ ألقاها إلى مريم، العذراءُ البتولُ، وروحٌ منه..

وكذلك المؤمنون وسطٌ في شرائع دين الله فلم يحرموا على الله أن يَنْسخَ ما شآء ويمحو ما شآء ويثبت كما قالته اليهود..ولا جوزوا لأكابِرَ علمائِهم وعُبّادِهم أن يغيروا دين الله فيأمروا بما شاؤا وينهوا عما شاؤوا كما يفعله النصارى. وكذلك في صفات الله تعالى، فإن اليهودَ وصفوا اللَّه تعالى بصفات المخلوقِ الناقصةِ، فقالوا هو فقيرٌ ونحن أغنياءُ، وقالوا يدُ اللهِ مغلولةٌ، وقالوا إنه تَعِبَ من الخلق فاستراح يوم السبت إلى غير ذلك.. والنصارى وصفوا المخلوق بصفاتِ الخالق المختصة به، فقالوا إنه يخلقُ ويرزقُ ويغفرُ

ويرحمُ ويتوبُ على الخلق ويُثيبُ ويعاقبُ.. والمؤمنون آمنوا بالله سبحانه وتعالى، ليس له سميٌّ، ولا نِدٌّ، ولم يكن له كفوًا أحدٌ، وليس كَمِثْلِهِ شيءٌ، فإنه رب العالمين وخالقُ كلِّ شيءٍ، وكلُّ ما سواه عِبادٌ له، فقراءُ إليه .. وهكذا أهل السنة والجماعة في الفرق، فهم في باب أسماء الله وآياته وصفاته وسطٌ بين أهل التعطيل الذين يلحدون في أسماء الله وآياتهِ ويُعطِّلون حقائقَ ما نَعَتَ اللهُ به نفَسهُ، حتى يشبهوه بالعدم والموات... وبين أهل التمثيل الذين يضربون له الأمثالَ، ويشبهونه بالمخلوقات... فيؤمن أهل السنة والجماعة بما وصفَ اللهُ به نفسَهُ وما وصفَهُ به رسولُهُ، من غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ ومن غير تكييفٍ وتمثيلٍ... وهم في باب خلقه وأمره وسطٌ بين المكذبين بقدرة الله - و المؤمنين - الذين يؤمنون بقدرته الكاملة ومشيئتِهِ الشاملةِ وخلقِهِ لكل شيءٍ، وبين المفسدين لدين الله الذين يجعلون العبدَ ليس له مشيئةٌ ولا قدرةٌ ولا عملٌ، فيعطلون الأمرَ والنهيَ والثوابَ والعقابَ، فيصيرون بمنزلة المشركين الذين قالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء ... وهم في باب الأسماء والأحكام والوعد الوعيد وسطٌ بين الوعيدية، الذين يجعلون أهل الكبائر من المسلمين مخلدين في النار، ويخرجونهم من الإيمان بالكلية، ويكذبون بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم ...وبين المرجئة الذين يقولون إيمان الفُسّاقِ مثلُ إيمان الأنبياء، والأعمالُ الصالحةُ ليست من الدين والإيمان، ويكذبون بالوعيد والعقاب بالكلية..فيؤمن أهل السنة والجماعة بأن فساق المسلمين معهم بعضُ الإيمان وأصلُهُ، وليس معهم جميعُ الإيمان الواجب الذي يستوجبون به الجنة، وأنهم لا يخلدون في النار، بل يخرج منها من كان في قلبه مثال حبّةٍ من إيمان أو مثال خَرْدَلةٍ من إيمان...وهم أيضا في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم وسطٌ بين الغالية الذين يغالون في علي رضي الله عنه، فيفضلونه على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وبين الجافية الذين يعتقدون كفرَهُ وكفْرَ عثمانَ رضي الله عنهما ويستحلون دماءهما ودماءَ من تولاهما، ويستحبون سبَّ عليٍّ وعثمانَ...وكذلك في سائر أبواب السنة هم وسطٌ، لأنهم متمسكون بكتابِ اللهِ وسنةِ

رسولِهِ وما اتفق عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان.." [18].

فهيا بنا إلى رحاب كتاب ربنا والذي فيه شفاء و رحمة للمؤمنين، و إلى رحاب السنة المطهرة ورياض الصالحين لنقتبس من نورهما، لعلهما يكونان نبراسًا لنا، يضيئان طريقنا في هذا الزمان الذي ادلهمت فيه الظلمات و تعددت فيه الاجتهادات و التوجهات و ضل فيه الحائرون. نسأل الله تبارك و تعالى أن يخرجنا من ظلمات الوهم و أن يكرمنا بنور الفهم و أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أولئك الذين هداهم الله و أولئك هم أولو الألباب.

لنعش هذه اللحظات المباركة في رحاب وظل سنة نبينا لنرى منهجه الوسطي في كل أمر من أمور الحياة، لنكون على بينة من الأمر:

الرسول صلى الله عليه وسلم يدعونا إلى المنهج الوسط و المعتدل

تعددت و تنوعت عبارات الصادق المصدوق **صلى الله عليه وسلم** و عبارات العلماء من السلف الصالح حول ضرورة الأخذ و التمسك بالوسطية. فمن خلال استقرائنا للسنة النبوية نجد أنه **صلى الله عليه وسلم** تارة عبر بـ: [ليِّنون هيِّنون..[19]]، و :[و سدِّدوا و قاربوا ..[20]]، و:[القَصْدَ القَصْدَ.. [21]]،و :[عليكم هَدْياً قَصْداً..[22]]، و :[فإن المنبتَّ لا أرضاً قطع و لا ظهراً أبقى.. [23]]، و:[وهلك المتنطّعون، ثلاثاً.. [24]]، و:[لِيُصلّي أحدكم

---

[18] أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، **مجموع الفتاوى**، ، **باب الوصية الكبرى**، ج3، ص: 363، وانظر:**حرمة الغلو في الدين و تكفير المسلمين**، 73-83

[19] ، **صحيح البخاري**، محمد بن اسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي ، دار ابن كثير- اليمامة، بيروت، ط3، 1407، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، ج5-2373

[20] **صحيح البخاري**،ج 1، ص: 23

[21] **صحيح البخاري**، ج5، ص: 2373

[22] **سنن ابن ماجة**: ج1، ص: 240، رقم الحديث: 3348

[23] **صحيح البخاري**، ج3، ص: 377

[24] **صحيح مسلم**، ج4 – ص 2055 – رقم الحديث: 2670

نشاطَه.[25]]، و:[و لن يشادَّ الدينَ أحدٌ إلا غلبَهُ..[26]]، [..لكني أصوم و أفطر..[27]].. وغير ذلك من العبارات التي تحمل معاني الوسطية و الاعتدال.

و مما أشار إليه سلفنا الصالح حول التمسك بالوسطية نذكر منها: (لا إفراطَ و لا تفريطَ)، (الفكر الشطط)، (قصد القلب و لين الجانب)، (الاقتصاد في الطاعة)، (رفع الإصر عن هذه الأمة)، (التوازن و الاعتدال)،..الى غير ذلك ما هنالك من العبارات الشتى، كلها تنبئنا عن ضرورة الأخذ بالوسطية و الاعتدال في عباداتنا و معاملاتنا..

و ذكر الإمام البخاري من حديث أبي هريرة عن النبي **صلى الله عليه وسلم** قال: [ثم إن الدينَ يُسْرٌ، ولنْ يشادّ الدينَ أحدٌ إلا غلبَهُ. فسدِّدوا و قاربوا وأبشروا..]، [28].

قوله **صلى الله عليه وسلم**: [فسددوا..]، أي إلزموا السداد، وهو الصواب، لا إفراط ولا تفريط [29]. قال أهل اللغه: السداد: **التوسط في العمل**، قوله **صلى الله عليه وسلم:** [وقاربوا ..]، أي أن لم تستطيعوا الأخذ بالأكمل فاعملوا بما يقرب منه.

و ذكر الإمام البيهقي في سننه حديثاً آخر عن جابر بن عبد الله عن النبي **صلى الله عليه وسلم**، أنه قال: [ثم إن هذا الدّينَ متينٌ فأوغِلْ فيه برفْقٍ. ولا تُبْغِضْ إلى نفسك عبادة الله، فإنّ المُنبَتَّ لا أرضاً قَطَعَ ولا ظهرًا أبقى..]، [30].

ومعنى قوله **صلى الله عليه وسلم**: [ولن يشادَّ الدينَ أحدٌ..]، هو بضم الياء وتشديد الدال للمبالغة، من الشدة وأصله لا يقابل الدينَ أحدٌ بالشدة، ولا يجرى بين الدين

---

[25] **صحيح البخاري**، ج1، ص: 386، رقم الحديث: 1099

[26] **صحيح البخاري**،ج 1، ص: 23

[27] **صحيح البخاري**، ج5، ص:1949، رقم الحديث: 4776

[28] **صحيح البخاري**،ج 1، ص: 23

[29] و إلى هذا المعنى أشارت الآيات القرآنية: (**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله و قولوا قولاً سديدًا**)، الأحزاب:70، وكذلك قوله تعالى:(و ليقولوا قولاً سديدًا) النساء: 9

[30] المصدر السابق، ج3، ص: 377

وبينه معاملة بأن يشدد كل منهما على صاحبه إلا غلبه الدِّينُ، والمراد: أنه لا يُفْرِطْ أحدٌ فيه ولا يخرج عن حد الاعتدال [31].

صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم حذروا من التنطع و التشدد

ذكر الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد عن عبد الله بن مسعود قال:[والذي لا إله إلا هو ما رأيت أحداً كان أشدَّ على المتنطعين من رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولا رأيت أحداً أشد عليهم من بعده من أبي بكر، وإني لأظن عمر كان أشدَّ أهل الأرض خوفاً عليهم أو لهم..] رواه أبو يعلى والطبراني ورجالهما ثقات[32]..

الرسول صلى الله عليه وسلم يحذرنا من التشدد والتنطع و يرسم لنا المنهج الوسط:

1- المتشدد أمره إلى الزوال والهلاك:

روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث طلق بن حبيب عن الأحنف بن قيس عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [هلك المتنطعون، قالها ثلاثا]، [33].

وروى الإمام أبو داود من حديث طلق بن حبيب عن الأحنف بن قيس عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [.. ألا هلك المتنطعون.. ثلاث مرات] [34].

قال الإمام النووي: ألا بالتخفيف للتنبيه. هلك المتنطعون، أي المتعمقون، الغالون، المجاوزون الحدود، في أقوالهم وأفعالهم..

2- الوسطية في قضايا التعبد

---

[31] **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ج8، ص: 122

[32] الهيثمي، علي بن أبي بكر: **مجمع الزوائد و منبع الفوائد**، دار الكتاب العربي- بيروت، ج 10، ص 251

[33] **صحيح مسلم**، ج4 – ص 2055 – رقم الحديث: 2670

[34] السجستاني، سليمان بن الأشعث أبو داود، دار الفكر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد: **سنن ابي داود**، ج4- ص 201، رقم الحديث: 4608

روى الإمام البخاري في صحيحه قصة زينب رضي الله عنها. عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: [ثم دخل النبي **صلى الله عليه وسلم** فإذا حبل ممدود بين الساريتين، فقال: ما هذا الحبل ؟ قالوا: هذا حبل لزينب، فإذا فترت تعلقت. فقال النبي **صلى الله عليه وسلم** : لا، حُلُّوه، ليصلِّ أحدُكُم نشاطَهُ، فإذا فَتَر فليقْعُد]..[35] .

و روى الإمام البخاري أيضاً من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: [ثم كان عندي امرأة من بني أسد، فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: من هذه ؟ قلت فلانة، لا تنام بالليل، تذكر من صلاتها. فقال: مَهْ، عليكم ما تطيقون من الأعمال، فإن الله لا يملُّ حتى تملُّوا..] .." [36].

2- الوسطية في والقضايا الشخصية

و روى الإمام البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: [ثم جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي **صلى الله عليه وسلم** يسألون عن عبادة النبي **صلى الله عليه وسلم**، فلما أخبروا كأنهم تقالّوها. فقالوا: و أين نحن من النبي **صلى الله عليه وسلم** قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله **صلى الله عليه وسلم.** فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟! أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له؛ لكني أصوم وأفطر، وأصلي، وأرقد، وأتزوج النساء. فمن رَغِبَ عن سنتي فليس مني..] [37].

جاء في بعض الروايات عند ابن حجر في فتح الباري أن الثلاثة المذكورين هم علي بن أبي طالب وعبد الله بن عمرو بن العاص وعثمان بن مظعون.. فاتفقوا على أن يصوموا النهار ويقوموا الليل ولا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم ولا يقربوا النساء ويجبوا مذاكيرهم..!!؟ [38].

---

[35] **صحيح البخاري**، ج1، ص: 386، رقم الحديث: 1099

[36] المصدر السابق، رقم الحديث: 1100

[37] **صحيح البخاري**، ج5، ص:1949، رقم الحديث: 4776

[38] المصدر السابق

3- الوسطية في العلاقات الزوجية

جاء في صحيح ابن حبان قصة أبي الدرداء مع سلمان الفارسي وملخصها.. أن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** لما آخى بين سلمان وأبى الدرداء، قال: فجاء سلمان يزور أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبتلة، فقال: ما شأنك ؟ قالت: إن أخاك ليست له حاجة في الدنيا. فلما جاء أبو الدرداء رحّبَ به سلمان وقرب إليه الطعام، فقال له سلمان: أطْعِمْ ! قال: إني صائم. قال: أقسمتُ عليك إلاّ طَعِمْتَ، فإني ما أنا بآكلٍ حتى تأكُلَ. قال: فأكل معه وبات عنده. فلما كان من الليل قام أبو الدرداء فحبسه سلمان، ثم قال: يا أبا الدرداء: إنّ لربّكَ عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، ولجسدك عليكَ حقاً. أعْطِ كلَّ ذي حقٍّ حقَّهُ. صُمْ وأفْطِر وقُمْ ونَمْ وائْتِ أهلَكَ. فلما كان الصبح قال قُمِ الآن، فقاما فصليا، ثم خرجا إلى الصلاة فلما صلى النبي **صلى الله عليه وسلم**، قام إليه أبو الدرداء فأخبره بما قال سلمان، فقال له رسول الله **صلى الله عليه وسلم** مثل ما قال سلمان..[39]

4- الوسطية في العلاقات الاجتماعية

و روى الإمام البيهقي في شعب الإيمان عن زيد بن أسلم عن أبيه قال قال عمر رضي الله عنه: [يا أسلم لا يكن حبك كُلْفاً ولا بغضك تَلفاً. قال: قلت وكيف ذاك ؟ قال: إذا أحببت فلا تكلف كما يكلف الصبي بالشيء يحبه، وإذا أبغضت فلا تبغض بغضاً تحب أن تتلف صاحبك أو تهلك]، [40].

---

[39] البستي، محمد بن حبان بن أحمد أو حاتم التميمي، **صحيح ابن حبان**، مؤسسة الرسالة- بيروت، 1414، ط2، تحقيق الشيخ: شعيب الأرنؤوط ج2، ص:20

[40] البيهقي، ابو بكر أحمد بن الحسين، **شعب الإيمان**، دار الكتب العلمية-بيروت،1410، ط1، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، ج 5، ص: 261، رقم الحديث: 6598

ذكر الإمام البيهقي أيضاً عن معمر عمن سمع الحسن قال: كان يقول: [أحبوا هوناً وأبغضوا هوناً، فقد أفرط أقوام في حب أقوام فهلكوا، وأفرط أقوام في بغض أقوام فهلكوا. فلا تفرط في حبك ولا تفرط في بغضك]،[41].

و ذكر الإمام البيهقي أيضاً عن حماد عن ثابت عن مطرف قال:[خير الأمور أوساطها][42].و جاء في كتاب السنة للمروزي عن أبي قلابة قال: قال ابن مسعود رضي الله عنه.. فعليكم بالعلم، وإياكم والتبدُّعَ، وإياكم والتنطُّعَ، وإياكم والتعمقَ] [43].

وذكر الإمام بن ماجه في سننه في باب: الاقتصاد في الأكل- فقال - : " الاقتصاد: من القصد، وأصل القصد: الاستقامة في الطريق، كقوله تعالى:(وعلى اللهِ قَصْدُ السّبيلِ ومنها جائِرٌ)، النحل: 9 . ثم استعير في التوسط في الأمور. ومن قوله صلى الله عليه وسلم: [القَصْدَ القَصْدَ تبلغوا.. أي: عليكم القصْدَ من الأمور في القول، والفعل، والتوسط، بين طريقي الإفراط والتفريط. وحديث: [عليكم هدياً قصداً]، أي طريقاً معتدلاً. وحديث: [ما عال مَنِ اقتصدَ]، أي ما افتقر من لا يسرف في الإنفاق ولا يقتر ..[44].

نسأل الله تبارك وتعالى أن نكون قد وفقنا إلى فهم كتاب ربنا عز وجل و سنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فيما يخص في قضية الالتزام بمبدأ الوسطية و الاعتدال، ألا فلينتبه الشباب و المسؤولون إلى هذه الحقيقة، فما أحوجنا إليها ولا حول و لا قوة إلا بالله العزيز الحكيم.

---

[41] المصدر السابق، رقم الحديث: 6599

[42] المصدر السابق، رقم الحديث: 6601

[43] المروزي، محمد بن نصر بن الحجاج أبو عبد الله، مؤسسة الكتب الثقافية-بيروت، 1408، ط1، تحقيق: سالم أحمد السلفي، **السنة**، ج1-ص: 30 ، رقم الحديث: 85

[44] **سنن ابن ماجة**: ج1، ص: 240، رقم الحديث: 3348

وتم مراجعة هذه الدراسة مرة أخرى ضحوة يوم السبت 3 ذي الحجة 1436 هـ والموافق

2014/09/27 – الدوحة – قطر

وأسأل الله أن يتقبلها مني إنه تعالى سميع قريب و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

خادم القرآن والمسلمين

الدكتور خير الدين خوجة الكوسوفي

الأستاذ المشارك للتفسير وعلوم القرآن

كلية المجتمع – الدوحة - قطر

و كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر سابقا

للتواصل يرجى زيارة موقعي الشخصي

www.drhafezi.net

أو المراسلة على العنوان التالي

email: drhafezi68@gmail.com